

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

[15] على أنفسهم بما ارتكبه من فطيع الفعال، وما اقترفوه من شنيع الأعمال إذ قالت: "أظننت يا يزيد... أن بنا على الأ هواناً، وبك عليه كرامة، وأن ذلك لعظم خطرك عنده؟ فشمخت بأنفك، ونظرت في عطفك، جذلان مسروراً، حين رأيت الدنيا لك ييمستوثقة والأُمور متسقة، وحين صفا لك مُلكنا وسلطاننا، فمه مه أنسيت قول الأ عز وجل: (ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خيراً لأنفسهم إلا نزلناهم لهم ليزدادوا إلا ثماً ولهم عذاب مهين) ". جواب على سؤال: إن الآية الحاضرة تجيب ضمناً على سؤال يخالغ أذهان كثير من الناس وهو: لماذا يرفل بعض العصاة والمجرمين في مثل هذا النعيم، ولا يلغون جزاءهم العادل على إجرامهم؟ يفا إن القرآن الكريم يرد على هذا التساؤل الشائع قائ: إن هؤلاء فقدوا كل قابلية للتغيير والإصلاح، وهم بالتالي من الذين تفتضي سُنّة الخلق ومبدأ حرّية الإنسان واختياره أن يتركوا لشأنهم، ويوكّلوا إلى أنفسهم ليصلوا إلى مرحلة السقوط الكامل، ويستحقوا الحدّ الأكثر من العذاب والعقوبة. هذا مضافاً إلى ما يستفاد من بعض الآيات القرآنية من أنّه سبحانه قد يمدّ البعض بالنعمة الوافرة وهو بذلك يستدرجهم، أي أنّه يأخذهم فجأة وهم في ذروة النعم، ويسلبهم كل شيء وهم في أوج اللذة والتمتع، ليكونوا بذلك أشقى من كل شقي، ويواجهوا في هذه الدنيا أكبر قدر ممكن من العذاب، لأن فقدان هذا النعيم أشدّ وقعاً على النفس، وأكثر مرارة كما نقرأ في الكتاب العزيز: (فلم نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أحذناهم بغتة فاذا هم مبلسون) (1). _____ 1 - الأنعام، 44.